أثر الاتجاه الفني في المبنى الروائي قراءة في نماذج من الرواية السعودية

الدكتور

عبدالعزيز بن عبدالله بن صالح أبا الخيل

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية في جامعة القصيم

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص

أثر الاتجاه الفني في المبنى الروائي
قراءة في نماذج من الرواية السعودية

في الأسطر القليلة التالية محاولة عجلى لدراسة أثر الاتجاه الفني في المبنى الروائي السعودي، علماً بأن هذه الدراسة ستكون انتقائية؛ بحيث تقتصر على قراءة ثلاثة نصوص تمثل اتجاهات ثلاثة؛ الأول: الاتجاه الاجتماعي؛ وتمثله رواية "جاهلية"، للكاتبة ليلى الجهني، والثاني: الاتجاه الإسلامي؛ وتمثله رواية "أيامنا الصعبة"، للدكتور عبدالله العريني، والثالث: الاتجاه الرومانسي؛ وتمثله رواية "الحبّ يلتهم الفيروس"، للدكتور عبدالوهاب آل مرعي.

ويجدر التنبيه هنا على ما تميّزت به رواية "جاهلية" من بين هذه الرويات الثلاث من عمق في المعنى، وجودة في الأداء، وجماليات فنية، لولا تجنيها الشديد على المجتمع السعودي ونقمتها المبالغ فيها!

الدكتور

عبدالعزيز بن عبدالله بن صالح أبا الخيل

Abstract

Impact of the artistic trend in the novelist building Reading in the models of the Saudi novel

In the following few lines, a great attempt is made to study the impact of the artistic trend in the Saudi novelistic building. This study will be selective. The first is the social trend; And the third: the romantic trend; represented by the novel "Love devours the virus", by Dr. Abdulwahab al-Mari.

It is worth mentioning here that the novel "Jahiliyyah" was characterized by three of these three narratives of depth in meaning, quality in performance, and artistic aesthetics, if not for their severe reliance on Saudi society and exaggerated vengeance!

Dr.

Abdul Aziz bin Abdullah bin Saleh Abu Al Khail

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي الأسطر القليلة التالية محاولة عجلى لدراسة أثر الاتجاه الفني في المبنى الروائي السعودي، علماً بأن هذه الدراسة ستكون انتقائية؛ بحيث تقتصر على قراءة ثلاثة نصوص تمثل اتجاهات ثلاثة؛ الأول: الاتجاه الاجتماعي؛ وتمثله رواية "جاهلية"، للكاتبة ليلى الجهني، والثاني: الاتجاه الإسلامي؛ وتمثله رواية "أيامنا الصعبة"، للدكتور عبدالله العريني، والثالث: الاتجاه الرومانسي؛ وتمثله رواية "الحبّ يلتهم الفيروس"، للدكتور عبدالوهاب آل مرعي.

ويجدر التنبيه هنا على ما تميّزت به رواية "جاهلية" من بين هذه الرويات الثلاث من عمق في المعنى، وجودة في الأداء، وجماليات فنية، لولا تجنيها الشديد على المجتمع السعودي ونقمتها المبالغ فيها!

وأشير إلى أنني لن أتوقف – حين حديثي عن هذه الروايات الثلاث– عند كل عناصر بناء الرواية، وإنما سيكون حديثي عند أن أهم العناصر الخاصة ببنائها؛ وهي التي ستكون على النحو التالي: الشخصيات بقسميها: الرئيسة والثانوية، ثم الزمان والمكان، وأخيراً اللغة بنوعيها: السرد والحوار.

ولا يسعني في الختام إلا أن أنبّه على طول تلك الرويات، وقد حاولات جاهداً أن أتوسّع في الحديث عن تلك العناصر، وأن أفصّل القول فيها؛ لكن ضيق المساحة المقررة لي في هذا البحث حال دون ذلك.

الاتجاه الاجتماعي

رواية (جاهلية)[١] للكاتبة ليلى الجهني أنموذجًا

تتحدث هذه الرواية عن أسرة صغيرة تقطن المدينة المنورة تتكون من الأب، والأم، والابنة الكبرى (لين)، بطل روايتنا هذه، والابن الأصغر (هاشم) المدلّل وقرّة عين أمه، لقد كانت البطل في روايتنا هذه امرأة؛ وهذا أمر طبيعي في كثير من المجتمعات العربية التي كانت ولا زالت تُهمّش دور المرأة إلا إنها قد قامت لأجلها الحروب كما في حرب البسوس، وقد قيلت لأجلها الأشعار وغير ذلك[٢]، الجدير بالذكر أن كون الكاتبة هنا امرأة له دلالة خارجة عن المألوف في تلك البيئة؛ حيث باتت أداة للتحول وسبيلاً للتغيير في نفسها قبل بيئتها، فأصبح الموقف من المرأة يحدد الموقف من الإنسان والمجتمع ومن الوجود بأسره[٣]، وذلك الأمر يحمل دلالة على رغبة المرأة أو الكاتبة السعودية –على وجه التحديد– في تحقيق ذاتها، ولم تنفرد ليلى الجهني فقط بذلك، بل أشارت إليه الكاتبة ليلى الأحيدب صراحة في إحدى كتاباتها[٤].

---

(١) جاهلية، ليلى الجهني، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

(٢)أيام العرب، محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ط، د.ت، ص ١٤٢.

(٣)انظر: رمزية المرأة في الرواية العربية، جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٥٠.

(٤)انظر: صورة المرأة في القصة السعودية، د.محمد العوين، إصدار: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ١٢/١.

إن قارئ هذه الرواية يجد أنها تبحث عن العلاقة بين الفتاة البيضاء (لين)؛ ابنة الوطن، وذات الأصل والحسب والنسب الرفيع، وبين الشاب الأسود (مالك)؛ أحد مواليد المملكة العربية السعودية الذي لم تمنحه الدولة الجنسية السعودية، أو صك الغفران -كما تسميه الكاتبة- نظراً لانحداره من أصل أفريقي!

وواضح للعيان ما تمثله هذه الرواية من اتجاه اجتماعي ينتقد قضية متأصلة في المجتمعات العربية بصفة عامة، والمجتمع الخليجي بصفة خاصة، والمجتمع السعودي بصفة أخص؛ لأنها تدور في الأصل حول العنصرية المتأصلة في تلك المجتمعات، أو التمييز ضد اللون الأسود، إنها في الحقيقة تعالج مشكلة متجذّرة في المجتمع المدني[١] بشكل خاص، وفي المجتمع السعودي بشكل عام؛ وهي العنصرية القبلية المقيتة، أو ما يُسمى بالتصنيفات الطبقية، أو تقسيم الناس-حسب زعم الكاتبة- إلى: "هندي رفيق، تكروني كور، بدوي صربي، حجازي طرش بحر..."[٢]، أو إلى:"بدوي، حضري، حجازي، نجدي، قَبَلي، خَضِيري، صانع، تاجر،٢٢٠، ١١٠، عبد، كور، كويحة، طرش بحر، بقايا حجّاج"[٣].

وليس هناك أدنى غموض حول محاولة هذه الرواية التركيز على هذا الجانب، والسعي إلى علاجه بشتى الأساليب والطرق، رغم نقمتها الأكيدة على مجتمعها الذي تعيش بين ظهرانيه؛ وما ذاك إلا لأنه مجتمع يحتاج -حسب زعم الكاتبة- إلى"جهنم صغرى؛ كي تصهره وتطهّره وتعيد تشكيله

(١) نسبة إلى المدينة المنورة.
(٢) جاهلية، ص١٠٨.
(٣) السابق، ص١٥٢.

من جديد، لكن الله لم يبعث عقابه بعد"[١]، ويمكن تفسير تلك النقمة بأن مردَّها إلى الجاهلية المتأصلة في العقول التي لا تمحوها الثقافة ولا الشهادات، وإنما يمحوها العودة إلى الدين الحنيف ومبادئه التي لا تميز بين الناس إلا بالتقوى، كما أن الكاتبة ناقمة أيضاً على الناس الذين يعيشون داخل أروقة هذا الكيان؛ وما ذاك إلا لأنهم "يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون"[٢]، أما أنوثة (لين) التي لم تُكلف نفسها عناء تحصيلها؛ لأنها منحة ربانية فإنها-في هذا المجتمع الطبقي العنصري- "ذنب لا يُغتفر"[٣]!

لقد بدأت هذه الرواية مقاطعها الخاصة بـ(مالك) بقصص التراث العنصري؛ كقصة زواج الحجّاج من عقيلة نساء العرب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، ثم طلاقه لها بأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي غضب على أبيها؛ لأنه زوَّج عقيلة نساء العرب من أحد عبيد ثقيف إلى أن جعله يتفخّذها -على حد قول الكاتبة-، وقصة بلال ﷺ ووضع الصخرة العظيمة على صدره في بطحاء مكة وعدم تخليه عن دينه، وقصة حام وولده كنعان الذي أصابته دعوة أبيه نوح بأنه يُشوه خلقته ويكون أولاده عبيداً؛ وذلك لمواقعته امرأته في السفينة، وقصة عنترة بن شداد العبسي وابنة عمه عبلة الذي رفض عمه وابنه تزويجه منها؛ بسبب لونه الأسود رغم فعالله البيضاء، ونحو ذلك من المواقف التي تدل على تأصّل العنصرية وتجذّرها في معظم النفوس لدى معظم المجتمعات العربية منذ فجر التاريخ القديم مروراً بالعصر الجاهلي ثم صدر الإسلام ممتدّاً إلى العصر الحاضر.

---

(١) السابق، ص١٠٩.

(٢) السابق، ص١٠٩.

(٣) السابق، ص٩٢.

ويحسن بي أن أنبّه على أن في هذه الرواية اقتباسات عديدة؛ منها ما هو متصل بالحروب المعاصرة؛ وهي ذات علاقة بالعنف وبالخداع السياسي، في حين تتصل الاقتباسات المستمدة من التراث بالظلم العنصري والقبلي؛ فالعنف السياسي المعاصر يمثل المصدر الرئيس لتلك الاقتباسات؛ إذ أنها تبلغ ثمانية اقتباسات، بينما لا تتجاوز تلك المستمدة من مصادر تراثية اقتباسات أربعة(١).

(١)انظر: مقالة: الاقتباسات المطلعية في رواية جاهلية، د.سعد البازعي في الملحق الثقافي، جريدة الجزيرة السعودية، عدد: ١٩٨، وتاريخ: ٢٧ ربيع الثاني، ١٤٢٨هـ.

الشخصيات

الشخصيات هي قوام أي عمل روائي، كما أنها عنصر مشترك بين جميع الأنواع القصصية؛ لأنها تقوم على "صناعة الأفعال والأقوال داخل الرواية"(١)، وبالتالي فإنه لا "تُتصوّر قصة بلا أعمال، ولا تُتصور أعمال بلا شخصيات"(٢)، وبناء على ما سبق فإن الشخصية هي الخصوصية التي تتميز بها كافة الأعمال السردية عن الأجناس الأخرى للأدب؛ فليس من مقومات السرد الأخرى ما يمكن أن يؤدي ما تؤديه الشخصية(٣)، ومن هنا فإنه يمكن تقسيم عنصر الشخصيات في رواية "جاهلية" إلى نوعين:

أ – الشخصية الرئيسة:

الشخصية الرئيسة هي ركن رئيس من أركان الرواية، و(لين) هي بطلة هذه الرواية؛ وقد استمد والدها تسميتها من لفظة وردت في قول الحق ﷻ: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله)(٤)، وهي كذلك تماماً؛ حيث إنها أصبحت كشجرة ذات ظل ممدود يُستظل بها عن حرارة الشمس ولهيبها، إنها تسعى حقاً لأن تنشر قيم العدل والمساواة بين سائر فئات المجتمع، كما أن لهذا الاسم دلالة أخرى؛ حيث إن لديها قابلية

---

(١) صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية، د.منصور المهوس، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٣٢٠.

(٢)علم السرد، المحتوى والخطاب والدلالة، د.الصادق بن الناعس قسومة، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص١٧٦.

(٣)انظر: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د.عبدالملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م، ص٩٠-٩١.

(٤)سورة الحشر، آية: ٥.

للكسر، وهي لينة سمحة مع جميع فئات المجتمع، حتى مع أخيها الأصغر (هاشم)، وبالذات حين حنقه وطيشه عليها؛ فـ "عندما ينظر إليها غاضباً لا تفعل شيئاً غير أن تبتسم بهدوء، ثم تعود لما كانت تفعله، فكم يذبحه هدوؤها، حتى عندما يصرخ في وجهها لا تفعل شيئاً غير أن تتركه دون أن تفكّر في الردّ عليه"(١)، وعلى الرغم من أنها تكبره سناً، إلا أنها "لم تصرخ في وجهه كثيراً، ولم تنهره مرّة"(٢)،وكذلك أيضاً "عندما وجدته يفتش غرفتها، ما الذي فعلته؟ هل ثارت؟ هل صرخت في وجهه؟ لا.. لا.. لا..، لم تفعل شيئاً غير أن استندت إلى حافة الباب عاقدة يديها على صدرها، تراقبه وهو يغادر غرفتها مرتبكاً دون أن يحمل دليلاً واحداً يُبّرر به لأبيه ثورته عليها، لم يأخذ صورة أو رسالة يرفعها في وجه أبيه قائلاً: "شوف يا أبويا ايش لقيت في غرفتها، شوف بعينك، ولا تردني عنها، بنتك راح تفضحنا..."(٣)، إن (لين) البطلة أنموذج للإنسان المختلف الذي يحلم أن يحيا كما يفكر هو، لاكما يفكر العقل الجمعي، وفي ذلك تمثيل واضح للقيم كقضية مهمة شغلت مؤخراً الرواية السعودية(٤).

ب- الشخصيات الثانوية:

تعدّد الشخصيات في أي عمل روائي أمر حتمي، و(مالك) هو الشخصية الثانية في هذه الرواية؛ أما أبرز ملامح وجهه فهو أنه ذو أنف

---

(١)جاهلية، ص١٧.

(٢)السابق، ص٢٠.

(٣) جاهلية، ص١٨.

(٤)انظر: القيم الخلقية في الرواية السعودية دراسة تحليلية، د.عبد الملك آل الشيخ، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص .

عريض، وشفتين غليظتين، وبشرة سوداء... لقد أضحى (مالك) يعيش تناقضاً واضحاً بين حبه الحقيقي لـ(لين)، وحقيقة وضعه الاجتماعي، وبالتالي أجّل تكراراً ومراراً مصارحته لـ(لين) بأنه ليس مواطناً ريثما يحصل على (صك الغفران)، ذلك الذي يعني موافقة وزارة الداخلية السعودية على أن تجعل منه مواطناً أصيلاً، وهو الذي حتماً سيقربه منها كثيراً، في مجتمع يرى نفسه الأفضل على الإطلاق، مجتمع يتعامل مع هؤلاء السود بفيض من الاستعلاء والازدراء، وهو يجعل من هذا السواد علامة فارقة تمنعهم من الاندماج الحقيقي في ثقافته وهويته، مجتمع يرى بأن على أمثال هؤلاء السود أن يحشروا أنفسهم في الهامش الضيق المتروك لهم؛ ليبرعوا إما في مداعبة الكرة، أو الصدح بالغناء، أو الجنوح إلى ارتكاب الجرائم،...إلى أن يكون السجن مصيراً حتمياً لكثير منهم(١)!

أبو هاشم: أنموذج للأب المتفهّم الذي لا يدّعي الحب لابنته (لين) لكنه يحياه بل يتنفسه، وهو أب له أفكاره الخاصة به، لكنه لا يستطيع تطبيقها لا على نفسه ولا على عائلته الصغيرة؛ وما ذاك إلا بسبب قسوة المجتمع الذي يعيش فيه وقوة سلطته المتناهية.

أم هاشم: الأم المتحيّزة للذكور من أبنائها حتى وإن كانوا صغاراً؛ "خلّيتْ الحَلى للآخِر"(٢)، وهي كثيرة النقمة على ابنتها (لين)؛ "لعنة الله عليك يا شيخة، يا ريتني مُت ولاخلّفتك"(٣)، لم تهدأ هذه المرأة إلا بعدما أنجبت (هاشماً) الذي تعتقد أنه سيكون سندها وعضدها في حياتها، وربما بعد

(١)السابق، ص١٤٦.
(٢)جاهلية، ص٢٠.
(٣)السابق، ص٧٤.

مماتها، لذا حرصت على مناصرته على ابنتها (لين)، بل على ذاتها أيضاً على طول الخط، ورغم علمها بفساد أخلاقه وسلوكه المنحرف إلا أنها تطلب منه بل تشجعه على أن يكون متسلطاً على أخته الشريفة؛ تقول له مثلاً: "سوي اللي تبغاه، دافع عن شرفك..."(١).

هاشم: الابن المدلّل، والشاب المستهتر المتربّص بالناس، العابث بأعراضهم، الشاكّ في كل مَن حوله؛ "ركبها، ركبها الحيوان! ركبها"(٢)، إنه لا يذكر الله إلا لاعناً باسمه؛ "الله يلعنها ويلعنه، الله يلعن جنسها كلها"(٣)، ويلعن أيضاً الشوارع لخلوها من الحمامات العامة، كما يلعن الثانوية العامة التي درس فيها والشهادات السخيفة التي تمنحها، ويلعن كذلك حظه المتعثّر، إنه أنموذج للأناني الذي يتمنى أن لم يخلق الله النساء؛ "إلا للاستمتاع بهنّ فقط، يا سلاااااااااااام، ما كان سيحرك سيارته إلا من أجل واحدة منهن"(٤)، كما أنه يتمتع بقلب قاسٍ؛ فهو يرى "مواكب الجنائز آتية من باب جبريل باتجاه البقيع، ويسمع صلاة الميّت مرتين أو ثلاثاً في اليوم الواحد في متجر الإكسسوارات، لكن... لم يعبر الموت أبداً عليه، عبرت عيون، عبرت شفاه، عبرت أيادٍ، عبرت أجساد، وما عبر الموت"(٥).

إن (هاشماً) يعيدنا –من خلال بعض سلوكياته الرعناء– إلى حياة الجاهليين قبيل البعثة المحمدية حين كانوا يعدّون البنات عاراً ومن ثمَّ

---

(١)السابق، ص٢١.
(٢)السابق، ص٢٤.
(٣)السابق، ص١٩.
(٤)السابق، ص٢٢.
(٥)جاهلية، ص٣١.

يئدونها؛ وهذا من الدلائل الواضحة على جهله وتعصبه الذميم ضد النساء متثمثلين في شخص أخته، حيث إنه يحمل رغبة دفينة لوأدها، وقد عبّر عن ذلك بقوله: "لو أمه خنقتها وهي تلدها، لو أنها ماتت... لو أن الله قال: اقتلوهن، لكن قتلها سيريحها، وهو لا يريد أن ترتاح"(١).

إن لاسم (هاشم)–في هذه الرواية– أكثر من دلالة؛ فقد يكون مأخوذاً من كسر الشيء اليابس أو الأجوف، أو كسر العظام والرأس خاصة، أو الوجه والأنف، أو كل شيء(٢)، وهو يأتي هنا بمعني (الحاكم) المتسلط؛ وهذا ما يقوم به المجتمع الذي يمثله –حسب زعم الكاتبة–، وربما أعادنا هذا الاسم لشيء من جاهلية بني هاشم قبيل الإسلام!

وحين نأتي للحديث عن قيم الشرف لدى (هاشم) فإننا نجد أنها ذات ازدواجية مكشوفة وتناقض صريح؛ إنه لا يرضى البتّة أن تقيم أخته علاقات مع (مالك)، وهو –في الوقت ذاته– لا يعبأ بذلك لنفسه، بل إنه يعاشر كثيراً من المومسات، ناهيك عما لديه من ممارسات لا أخلاقية عديدة، وربما يكون انعدام ثقته بالمرأة –بشكل عام– هو الذي قاده إلى انعدام ثقته بأخته (لين)(٣)–على وجه الخصوص–، إنه أنموذج "لإفراز طبيعي لواقع معيش، تسكنه ثقافة خاصة؛ هي امتداد لثقافة اجتماعية لها جذورها في العقل العربي الشرقي"(٤)، ويُرجع بعض الباحثين هذا التناقض إلى موقع المرأة من

(١)السابق، ص١٧.
(٢)القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص١٥١٠.
(٣)انظر: صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية، ص٣٠٦.
(٤) السابق، ص٣٠٧.

الرجل وعلاقتها به؛ بأن المرأة التي ليست من محارم الرجل تصبح مصدراً لنوع مختلف من النظر الذي قد يبلغ حداً كبيراً من التقديس[١]؛ لأنها قد تصبح موضعاً للاصطياد أو الإغواء.

وإذا نظرنا إلى هذه الشخصيات جمعاء فإننا نجدها نماذج مجتمعية قد نشاهدها في واقعنا الاجتماعي، بعضها سلبي، والبعض الآخر إيجابي، وقد جاءت لتخدم قضية هذه الرواية وهدفها الاجتماعي الرئيس؛ وهو علاج مشكلة العنصرية والعرقيات التي تسود في بعض مجتمعاتنا العربية والتي تنبذ القيم والأعراف السماوية، هذه الشخصيات التي تأتي لتتصارع ما بين معارض لهذه القضية، وما بين مناصر يسعى إلى تكريس العنصرية، وربما الانتصار لها بكل ما يملك، وإذا كان (هاشم) و (أمه) يسعيان إلى تكريس هذه العنصرية البغيضة فإن المجتمع ككل مسؤول عن تلك الجاهلية أيضاً؛ لأنه يقوم بتكريسها ودعمها بقوة متناهية[٢]!

الزمان

إهمال العنصر الزمني في العملية السردية يكاد يكون مستحيلاً[٣]؛ لأن كل ما يُقصّ فإنما يكون في زمن ما؛ ماض أو حاضر أو مستقبل، وبالتالي فإن الزمن من أهم ما يميز الحكي عن الخطاب انطلاقاً من طبيعة

(١)الكتابة ضد الكتابة، د.عبد الله الغذامي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص٢٣.

(٢) انظر: مقالة: الاقتباسات المطلعية في رواية جاهلية، د.سعد البازعي في الملحق الثقافي، جريدة الجزيرة السعودية، عدد: ١٩٨، الاثنين، ٢٧ ربيع الثاني، ١٤٢٨هـ.

(٣) انظر: بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص١١٧.

الضمائر وزمن الأفعال[١]، وهو من العناصر البنائية الأساسية التي يقوم عليها فن القصة؛ لأنه يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها؛ فالزمن إذن هو القصة وهي تتشكل، وهو الإيقاع كذلك[٢].

وتعود أحداث روايتنا هذه إلى حرب الخليج الثالثة إبان الغزو الأمريكي على العراق، وربما استعملت ليلى الجهني أسماء الأيام والشهور العربية القديمة -في عنونة فصولها- من أجل توثيق الروابط الزمنية بين الجاهلية القديمة وجاهلية القرن العشرين أو الحادي والعشرين[٣]؛ والمتمثلة في هذه النظرة العرقية العنصرية المتعاصرة مع حرب الخليج الهوجاء، وقد استطاعت أن توظفها لذات الغرض، وكأنها أرادت بالمقاطع الإخبارية -التي تسبق كل فصل كي تبلّغ عن الأوضاع العراقية- أن تثبت حقيقة مفادها: أن طائرات العدو تملأ أجواءنا، بينما نحن غائبون أو مغيبون عن الوعي! كما أن عقولنا مشغولة بالتصنيفات العرقية الهوجاء! فلربما جاء اختيارها لهذا الزمان ولهذا الحدث السياسي إشارة إلى تغلغل هذه المشكلة في صميم المجتمع وبين سائر أفراده؛ بحيث لم تشغله هذه الفاجعة السياسية التي تدور حوله عن شدة إصراره على تمسكه بأفكاره الاجتماعية القاصرة المخالفة لكل السنن الربانية، وقد نجحت الكاتبة تماماً في تمثُّل تلك الأحداث

---

(١) انظر: تحليل الخطاب الروائي، د.سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٦٥-٦٦.

(٢) انظر: بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٧-٣٨.

(٣) وهو من المصطلحات الحديثة؛ ويُقصد به ما أصاب الناس في العصر الحديث من تغيّر في أسلوب حياتهم ومعاشهم عما يفرضه الإسلام وقيمه. وللاستزاده انظر: جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣م، ص.

حينما نسخت (لين) أسماء الأيام والشهور الجاهلية وعلقتها على الجدار، مشيرة إلى امتداد الجاهلية لآلاف السنين رغم التحضر الذي ندَّعيه؛ "للحظات رأت الأيام والأشهر وهي تخلع أقنعتها أمام عينيها، وتعود إلى وجوهها القديمة، رأت شياراً يخلع سبته، وأول يخلع أحده، وعاذلاً يخلع شعبانه، ووعلاً يخلع شواله، ولم تكن الوجوه القديمة قبيحة، بل مجعّدة لطول ما تعرّقت تحت أقنعة ليست لها..."[١].

جدير بالذكر أن هذه الكاتبة قد ضمَّنت روايتها صورة رمزية واضحة المعالم؛ وذلك من خلال ربط أحداث روايتها الاجتماعية بتأريخ "كل فصل من فصولها ببعض المقتطفات الإخبارية التي قيلت في هذه الفترة"[٢] خلال العام الذي حدثت فيه أحداث تلك الرواية؛ وذلك بهدف الربط بين العصرين، والتأكيد على وجود علاقة بين العصر الجاهلي وما نعيشه في العصر الحاضر من جاهلية مقيتة وعنصرية بغيضة، تعود بنا إلى الوراء مئات السنين.

أما الاسترجاع الاستذكاري[٣] ثم العودة إلى الالتحام بالنص فإننا نجده عند (لين) التي تستذكر ولادة أخيها (هاشم)؛ وذلك حينما "عادت به

---

(١) جاهلية، ص١٧٩.

(٢)بحث بعنوان: سؤال القيم في رواية جاهلية للكاتبة ليلى الجهني، د. إبراهيم بن محمد الشتوي، مجلة العلوم الإنسانية، البحرين، العدد ٢٥، صيف ٢٠١٥م، ص٣٩٦، ٣٩٧.

(٣)تميل الرواية –بشكل عام أكثر من غيرها– إلى الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائياً عن طريق استعمال الاستذكارات التي تأتي دائماً لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي. انظر: بنية الشكل الروائي، ص١٢١. ويسميه جيرار جينيت (النكوص)؛ انظر: أساليب السرد في الرواية المعاصرة، د.عبدالرحيم كردي، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م، ص٦٣.

أمه من المستشفى تحمله على ساعدها، وقد أدنته منها، وهي تقول لها: قبّلي رأس سندك"[١]، وكأن الأم بهذا الصنيع تريد أن تفرض سيطرة الأخ الرضيع على شقيقته الراشدة وإن كان لا يزال في المهد صبياً!

وفي المقابل يتطلع والد (لين) لابنته، ويودّ أن لو أخبرها كم أحبها "حتى قبل أن ينجبها، ودَّ لو قصّ عليها كيف استوقفته الآية الخامسة من سورة الحشر: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ)[٢]، كيف ظلّ يردّد بينه وبين نفسه: لينة، لينة، لينة"[٣]، وربما كان هدف هذا الاسترجاع التأكيد على علاقة الحب الأكيدة التي تربط الأب بابنته قبل أن تفارق رحم أمها وتُبصر النور.

المكان

المكان أيضاً عنصر رئيس في العمل الروائي، بحيث لا يمكن بحال من الأحوال تجاوزه، وبالتالي فلا بدّ من حضوره الواضح في بعض صفحات أي رواية، علماً بأنه قرين الزمان، كما أنه أساس القصة[٤]، وله علاقة وطيدة بالأحداث والأشخاص، وقلّما نعثر على تعريف للرواية "يُهمل عنصر المكان؛ فالشخصيات تحتاج إلى مكان لحركتها، والزمان يحتاج مكاناً يحل فيه ويسير منه وإليه، والأحداث لا تحدث في الفراغ، ويستحيل سردها إذا تم اقتطاعها وعزلها عن الأمكنة، فلا شيء يجري مالم يجد ما ينشأ جريانه

(١)جاهلية، ص٩٠.
(٢)سورة الحشر، آية: ٥.
(٣)جاهلية، ص١٢٤.
(٤)انظر: علم السرد، المحتوى والخطاب والدلالة، ص١٠١.

عليه"[١]، ثم إنه ليس مجرد خلفية تدور فيها أحداث الرواية، بل إنه فاعل حقيقي في أحداث الرواية وعناصرها[٢].

وتعود أحداث أماكن روايتنا هذه إلى المدينة المنورة؛ موطن الإسلام الأول، وقرب حرم الله ﷻ، وبجوار قبر رسوله ﷺ الذي جاء بحنيفية سمحاء لا تفاضل فيها بين أبيض وأسود ولا عربي وأعجمي إلا بالتقوى، هذا المكان الذي عاش فيه بلال وصهيب وسلمان كأبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم أجمعين-، لكنه للأسف لم يغيّر من الأفكار الجاهلية التي ما زالت تملأ عقول بعض الناس، وكما يقع (هاشم) في المحظور بصيد حمام الحرم؛ "المدينة حرم يا هاشم، حرام تصيد حمامها"[٣]؛ فإنه يعيدنا -من خلال بعض أفعاله الرعناء- إلى ما قبل العصر الإسلامي الزاهي، إنه يعيدنا إلى رعونة الجاهلية الأولى!

والمتأمل لاختيار الكاتبة لمجتمع المدينة على وجه الخصوص كي يكون موطناً لأحداث روايتها فإنه يجدها قد وُفقت لذلك؛ حيث إن المجتمع المدني "لا يمكن أن يُوصف بنقاء العرق على أي مستوى من المستويات، فهو نتاج تلاقي عدد من الأمم"[٤]، وذلك لما لأهلها من دور في إيواء الدعوة الإسلامية ومناصرتها في مهدها، وهجرة المسلمين إليها، وانفتاحها على

(١)قضايا المكان الروائي، صلاح صالح، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٢.
(٢)انظر: بداية النص الروائي، د.أحمد العدواني، نشر: النادي الأدبي في الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١٠٥.
(٣)جاهلية، ص٢٠.
(٤)بحث بعنوان: سؤال القيم في رواية جاهلية للكاتبة ليلى الجهني، د. إبراهيم بن محمد الشتوي، ص٣٩١.

المجتمعات الأخرى، وكونها موطناً للحكم وقيادة الدولة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، إلى غير ذلك من العوامل التي جعلتها قبلة لكثير من الجنسيات والأعراق الأخرى.

وكأن هذه الرواية أرادت أن تجعل من هاشم -الذي لم يراعِ قدسية المكان الذي يعيش فيه- صورة حية لما عليه بعض شبابنا اليوم! ففي هذا المكان الذي شعّ منه نور الإسلام على الدنيا، وعاش بين جنباته رسول السلام، وفيه دعا إلى المساواة والعدل بين سائر الناس؛ ها نحن الآن نراه يشهد حالات من صور كثيرة مخالفة لشرع الله في المساواة الاجتماعية والعدل بين كافة شرائح المجتمع؛ حيث يتمسك أهله بجاهلية عنصرية بغيضة، تجعل التمايز بين أفراد المجتمع على أسس لا ذنب لهم فيها كاللون أو القبيلة، وتناست تماماً الأساس الذي وضعه الإسلام لذلك؛ وهو التقوى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ)[١].

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

اللغة[١]

بات من المؤكد أن اللغة هي وسيلة الأدب الأساسية، وانطلاقاً من ذلك فإن للأعمال القصصية عدة أساليب؛ أبرزها:

أ- لغة السرد[٢]:

يغلب على هذه الرواية أسلوب السرد الذي يتميز بانتقاء العبارة ورصانتها؛ فالأشياء التي "لا يحبّها المرء لا تنتهي بسرعة"[٣]، ولو كان

---

(١)تجدر الإشارة إلى أن في هذه الرواية بعض التجاوزات التعبيرية في حق الذات الإلهية كانت الكاتبة في غنى عن إيراها؛ فحينما يمرض (هاشم) -على سبيل المثال- فإن الأم "تعاتب الله بحرقة وتقول: ليه يا ربي؟ هو واحد ومالي غيره"، جاهلية، ص٩١. و(مالك) حينما أخبر (ليناً) بأنه لا يحمل صك غفران "ظنت -للحظة خاطفة- أن الله في سمائه قد وقف بينهما"، جاهلية، ص١٠٣. و(مالك) "كمن يقول لله ﷻ: لقد خلقت لوناً سيئاً"، جاهلية، ص١٥٧. كذلك لم تخل هذه الرواية من صور جنسية فاضحة جريئة خادشة للحياء؛ فصديقة (هاشم) التي ظنت أنه أحبها، لكن "ما إن يقطر الدم بين فخذيها حتى ينتهي كل شيء"، جاهلية، ص٢٤. وكان (هاشم) كثيراً ما يردّد "سهلة سهلة، لقد فتحت بابها بسرعة"، جاهلية، ص٢٤. وحينما التقى بإحدى صديقاته للمرة الثالثة فقط "أصبحت تتأوه تحته"، جاهلية، ص٢٤. وما إن "يُفرغ ماءه في إحداهن حتى ينسحب منها دون أن يفكر في العودة إليها مرة أخرى"، جاهلية، ص٣٧. ولا شك أن هذه لغة فضائحية كان الأولى بكاتبة هذه الراوية عدم التصريح بها.

(٢)السرد: هو الطريقة التي يصف أو يصور بها الكاتب جزءاً من الحدث، أو جانباً من جوانب الزمان أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملمحاً من الملامح الخارجية للشخصيات، أو قد يتوغل إلى الأعماق؛ فيصف عالمها الداخلي وما يدور فيه من خواطر نفسية أو حديث خاص بالذات. انظر: دراسات في نقد الرواية، د.طه وادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٤٣.

(٣)جاهية، ص٣٣.

هاشم يقضي "وقته الآن مع إحداهن لمضى مثل الحلم"(١)، والسعداء الذين يضحكون كثيراً -في نظر (لين)- "أغرار استخفّهم الطيش، أما الحزانى فناضجون، الحزانى أبناء الحياة"(٢)، وحينما تمرّر (لين) يدها على رأس حبيب قلبها (مالك) فإنها تبتهل إلى الله بـــ "ألا تقترب الملائكة منه إلا لكي تعيده"(٣).

كما أن الصورة -التي أبدعتْ أنامل هذه الكاتبة في تجسيدها- أبرزت لنا قدرتها الفنية الأخاذة، وتأثيرها الواضح في المتلقي؛ فاليأس عند (لين) بالزواج من (مالك) ينتشر "كبقعة زيت ثقيل في قطعة حرير طبيعي حمراء، ستنكمش لا محالة إن غسلت، وسيؤذيها الدعك، وربما بهت لونها قليلاً"(٤)، وإنْ مات (مالك) فإنّ أهله سيغدون به إلى البقيع؛ فيصبح "كتَلَّةٍ صغيرة مسيّجة بأحجار سوداء كالتلال الصغيرة التي امتدت أمام عينيها ذات نهار مضى وهي تتطلع عبر بوابة البقيع الشرقية؛ تلال صغيرة متجاورة تفصل بينها ممرات متعرجة، ثم لا شيء سوى صمت مبهم تقطعه أصوات السيارات خلفها"(٥)، ثم إن (أم هاشم) كادت لو لم تنجب (هاشماً) أن تذوي مثل"عرجون نخل قديم"(٦)، لكنّ بطنها -بعد حملها- أصبح مثل "ثمرة يقطين

(١)السابق، ص٣٣.
(٢)جاهلية، ص١١٣.
(٣)السابق، ص٦٩.
(٤)السابق، ص٩٤.
(٥)السابق، ص٥٧.
(٦)السابق، ص٨٨.

قاسية"[١]، والراتب الذي يتقاضاه (مالك) يبدو –بسبب ضآلته– "كما لو كان ملحاً يذوب في عرق يديه"[٢].

ب – لغة الحوار:

يكشف الحوار أحياناً عن المستوى الفكري والاجتماعي للشخصيات، وهو "يشترك مع السرد والوصف في تشكيل نَصّ الرواية"[٣]، وقد تميز هنا بالحوارات الطويلة التي تسلط الضوء على الإشكالية الرئيسة في رواية "جاهلية"؛ وهي ازدواجية القيم أو تناقضاتها[٤]، ومما يميّزه كذلك بعده عن العمق اللغوي وقربه من اللهجة المحلية الدارجة[٥]؛ فهذا (مالك) –على سبيل المثال– يقول لأمه: "ما بي يا أمي، المسيني كي أعرف ما بي"[٦]، وحين يحادث (هاشم) صاحبه (أيمن) فإنه يقول له: "أول نحصلوا وبعدين نشوف إش حنسوي"[٧]، وتقول الممرضة وهي تُطمئن (لين) على صحة مالك في المشفى: "ما بي كوف –إن شاء الله– كويس، أنا في يعطي دوا هو

(١)السابق، ص٨٨.
(٢)السابق، ص١٥٧.
(٣) بداية النص الروائي، ص٣٠١.
(٤) انظر: مقالة: الاقتباسات المطلعية في رواية جاهلية، د.سعد البازعي في الملحق الثقافي، جريدة الجزيرة السعودية، عدد: ١٩٨، الاثنين، ٢٧ ربيع الثاني، ١٤٢٨هـ.
(٥) النقاد والأدباء على خلاف كبير بين استعمال العامية في السرد أو الحوار. وللاستزادة؛ انظر: فن القصة في الأدب السعودي الحديث، د. منصور إبراهيم الحازمي، دار العلوم، الرياض، ١٤٠١هـ، ص٦٣.
(٦)جاهية، ص١٢.
(٧)السابق، ص٢٨.

في نوم"[١]، وحينما تزجر الأم ابنتها –نظراً لمكوثها في المشفى بجوار (مالك)– فإنها تقول لها: "ما عرفت أربيّك، أنتِ ما تستحي على وشك، تبغي الناس تأكل وشنا"[٢].

ومن غير شك فإن هذه الرواية بهذه اللهجة الحوارية العامية تحاول أن تكون أكثر واقعية في تصوير واقعها الاجتماعي؛ بحيث تأتي اللغة في حوارات هذه الرواية بالطريقة نفسها عند استخدامها ونطقها في الملفوظ الاجتماعي، وهو ما يعكس أثر الاتجاه الاجتماعي على لغتها الحوارية.

يجدر التنبيه على أن الحوار الذي دار كثيراً بين (لين) و(مالك) تميّز بالتركيز اللغوي، كما زينه العمق في المعنى، وهذا ما يجعلنا نقرّ برقي المستوى الثقافي لديهما، وبشذوذهما عن مجتمعهما في أفكارهما ولغتهما، بل في عواطفهما وحبّهما.

أما المونولوج الداخلي[٣] –وهو الذي يؤمّن للرواية نبرة خافتة ربما ربما تنجح في جذب القارئ إلى عوالمها– فيتضح في حديث الأب مع نفسه؛ فماذا سيكون موقف الناس منه حينما يُزوّج ابنته لـ (مالك)؟ إنهم حتماًسيتفوّهون: بـ"أفٍ يا أبو هاشم، ما لقيت إلا هالعبد تزوجه بنتك؟ ليه؟

---

(١)السابق، ص٧٢.

(٢)السابق، ص٧٣.

(٣)المونولوج الداخلي هو: الخطاب غير المسموع وغير المنطوق الذي تعبّر به شخصية ما عن أفكارها الحميمية القريبة من اللاوعي، إنه خطاب لم يخضع لعمل المنطق، فهو في حالة بدائية وجمله مباشرة قليلة التقيد بقواعد النحو، كأنها أفكار لم تتم صياغتها بعد. انظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، د.لطيف زيتوني، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص١٦٣.

بارت وما عاد فيه رِجَال؟ كان قلت لنا وحنا تصرفنا! الشباب مالين البلد يا أبو هشام"[١]، فكأن الأب أراد أن يحطّم معظم تلك القيود، وأن يواجه الناس برمتهم، وأن يخضع لرغبة (لين) و(مالك) لولا خوفه الشديد من سطوة المجتمع ونقمته، لكنه في المقابل تماماً كان كثيراً ما يحدّث نفسه كما إذا كان قد أخطأ في تربية ابنته التي تميّزت بقوة الشخصية، إلى أن أصبحت قادرة على الاختيار، وربما مواجهة عنفوان المجتمع برمته.

وقد تكرر هذا المنولوج الداخلي كثيراً في هذه الرواية؛ فجاء مطوراً لأحداثها، مساهمًا في تكوين البنية المتكاملة للرواية ككل، ومن ذلك ما جاء في الحديث الداخلي للذئب البشري المدلل (هاشم) الذين يخوّن الجميع، ويعدهم خطراً يهدد عرض أخته، بل إنه يُدين أيضاً محبة أبيه لأخته ومعاملته اللينة لها، ويعقد مقارنة داخلية بين نفسه الشرهة للتلذذ بالنساء وبين أبيه الفقير في التجارب الغرامية؛ حيث اكتفى بواحدة فقط، ومن هنا فإن هاشم لا يثق بامرأة قط؛ "ابتسم وهو يفكر في أن أباه لن يتخيل أبدًا كم امرأة عرف! منذ أعوام وهو مشغول بهن، لعنة الله عليهن، كيف كانت الحياة ستكون لو لم يخلقهن الله؟ وكيف أصبحت حياته الآن مشوّشة لأنه خلقهن؟ لو أنه خلقهن دون أن يكون لهن علاقة بأحد... لو أنه يجعلهن أمهات أو أخوات أو زوجات... لو أنه خلقهن للاستمتاع فقط، يا سلاااااام!"[٢].

(١)جاهلية، ص١٢٦.
(٢)جاهلية، ص٢٢.

الاتجاه الإسلامي

رواية (أيامنا الصعبة)[١] للدكتور عبدالله العريني أنموذجًا

هذه الرواية تحكي لنا قصة عائلة بسيطة عاشت في نجد قبيل اكتشاف البترول، وهي تمثل كل العائلات السعودية عند بدايات توحيد الجزيرة، وحينها كان الناس يعيشون على شظفٍ من العيش وقلة ذات اليد، إنها تُقدّم صورة حقيقية عن الوضع المادي في الماضي البائس مقارنة مع الحاضر المشرق، وكيف أن الناس كانوا متمسكين بدينهم، محافظين على قيمهم، رغم ما يمرون به من أحوال صعبة!

ويتضح للوهلة الأولى أن هذه الرواية ذات اتجاه إسلامي؛حيث إن كل أهل هذه القرية محافظون؛ فحينما يدخل التاجر (عثمان) بيت (أبي محمد)؛ فإن بنات الأخير يحتشمن بلبس حجابهنّ، كما تتوارى العجوز (أم إبراهيم) خلف الباب خشية أن يراها الضيف البدوي، وبعد أن فقدت أربعة من بنيها في فترة وجيزة لا تتعدى (أم محمد) أن تحوقل وأن تسترجع، ويريد أهل هذه القرية ختمتين للقرآن الكريم أو ثلاثاً في شهر رمضان المبارك، وشخص يسأل الابن (محمداً) عن (أبي حنيك)؛ أهو مسلم أم لا؟

إن هذه المعطيات تجعلنا أمام حقيقة لا تقبل الجدل أبداً؛ وهي أن هذا المجتمع الصغير المتقوقع على نفسه لا يزال مجتمعاً محافظاً على قيمه، متدثّراً بدينه، رغم فقره المدقع وشدة حاجته، وكأن الكاتب أراد أن يرسم لنا صوراً حية لما كان عليهأهل هذه القرية على وجه الخصوص، وأهل سائر

(١)أيامنا الصعبة، د.عبدالله العريني، مطبعة النرجس، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

القرى السعودية على وجه العموم في ما مضى من أزمنة غابرة؛ وربما أراد أن يذكّرنا بهذه الجوانب؛كي يحثنا على الاقتداء والاهتداء.

الشخصيات

أ- الشخصية الرئيسة:

أبو محمد: وهو بطل هذه الرواية، وربّ هذه الأسرة، المدبّر لشؤونها، والجالب لأرزاقها بأمر الله، إن أهم صفة تتمتع بها هذه الشخصية الفذة هي شدة تمسكها بقيم دينها الحنيف؛ حيث كان "مؤذناً لمسجد الحي، وإماماً له أيضاً"(١)، وقد أخذ نصيبه من العلم الشرعي على أيدي العلماء في الرياض، وبالذات في جامع الإمام تركي بن عبدالله(٢)، وفي مكة على يد الشيخ محمد بن آل الشيخ، كما كان يحفظ القرآن الكريم وكتاب التوحيد والأصول الثلاثة عن ظهر قلب، زد على ذلك أنه قد "حجّ عشرين حجة"(٣)، كما كان حريصاً على حضور جلسات الشيخ سليمان العلي التي يعقدها في القرية كل أسبوعين للقيام بمهمة القضاء، خاصة وقد كانا معاً من تلاميذ الشيخ محمد بن آل الشيخ في مكة، وكان ذلك من الأسباب التي جعلت الشيخ سليمان يُوصل اسمه للمسؤولين عن سد حاجة البلاد في القضاء والإمامة، وقد تغيرت حياة أبي محمد اقتصادياً عقب حصوله على هذا

(١) أيامنا الصعبة، ص٦.
(٢) السابق، ص١٣.
(٣) السابق، ص١٢٥.

الراتب؛ حيث انتقل من نجد إلى جدة ثم إلى عدة بلدان أخرى داعياً وواعظاً وناشراً للخير(١).

ورغم فقره المدقع إلا أنه كان ممن يجمع بين غزارة العلم وإتقان العمل؛ حيث كان يؤم الناس ويعلمهم أمور دينهم في المسجد، كما كان يكدح طوال نهاره في بستانه الصغير؛ فيدخل "في دوامة الأشغال الشاقة التي لا تنتهي إلا حينما يحين موعد الأذان"(٢).

إننا لا شك أمام شخصية فذة نذرت نفسها لتعليم الناس وإرشادهم، وخدمة الأهل والأولاد والسعي في تحصيل معاشهم، وعلى الرغم من مآسي الجوع والفقر والتعب التي كانت تلتفّ حول (أبي محمد) إلا أنه كان ذا حس مرهف وعاطفة جياشة؛ فقد كان كثيراً ما يداعب بُنياته قبيل أن تنام الطفولة(٣).

ومن أهم صفات هذا الرجل أنه كان يحمل قدراً كبيراً من التسامح والعفو والصفح؛ ففي ذات يوم سُرقت عباءته التي لا يملك سواها، وقد كان متحرّجاً حرجاً شديداً وهو يعلن عن فقدها على باب المسجد بعد انتهاء إحدى صلوات الجماعة التي أمَّ الناس فيها، وحينما عثر الأهالي على السارق أثناء بيعه لها في سوق إحدى القرى المجاورة، وقُبض على اللص وجاءوا به إلى أبي محمد نفى أن تكون هذه عباءته المسروقة رغم تأكده

(١)مقال: الواقعية المحلية والعالمية في رواية أيامنا الصعبة لعبدالله العريني، د.سعد أبو الرضا، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المملكة العربية السعودية، العدد: ٧١، ص ٣٥.

(٢)أيامنا الصعبة، ص٧.

(٣)السابق، ص٢٠,٢١.

أنها هي، وقد أطلق سراحه خشية أن يسيء إلى سمعته وسمعة أهله، خاصة عندما رأى من مظهره شدة فقره وعوزه؛ فـ "مَن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"(١).

وعلى الرغم من قوة شخصيته في بيته وعند جماعة مسجده إلا أنه كان يتمتع بقسط وافر من المشاورة المتأصلة في المجتمع النجدي منذ القدم؛ فحينما وضعت زوجته مولوداً أذن لها أن تتفرد باختيار اسم له.

إننا أمام شخصية نادرة قادرة على البذل والعطاء، شخصية جمعت بين سلامة القول وإتقان العمل، إنها صورة حية لأولئك الآباء الأفذاذ الذين نذروا أنفسهم؛ كي يصنعوا المستحيل رغم ما كابدوه من أيام صعبة.

ب- الشخصيات الثانوية:

أم محمد: زوجة بطل روايتنا هذه، وهي مؤنسته حين تشتد به الكروب، وتدلهمّ عليه الخطوب، ورغم عامية هذه المرأة -التي لا تعرف وقت دخول شهر رمضان ولا وقت خروجه- إلا أنها كانت محافظة على قيمها وحشمتها وعفافها، كما أنها قائمة حق القيام بأعمال منزلها وحقوق زوجها وبنيها، ثم إنها صابرة مؤمنة محتسبة؛ فقد فقدتْ أربعة من بنيها في المهد لكنها احتسبتهم عند الله(٢)، إننا أمام صورة حية لأمهاتنا قديماً؛ صورة للمرأة التي تصبر على مرارة الزمن وقسوته، كما أنها ترضى بما قسمه الله لها.

---

(١)السابق، ص١٠٧.

(٢)انظر: أيامنا الصعبة، ص٤٠.

ومن الواضح أن صورة هاتين الشخصيتين (الزوج والزوجة) مستمدة من القيم الإسلامية الفاضلة التي حث عليها الإسلام وأقرها؛ وانطلاقاً من ذلك فإنها تصلح لأن تكون أنموذجاً يحتذى للشخصية المسلمة المنضبطة بضوابط الشرع وتعاليم الدين، ومن هنا يظهر أثر الاتجاه الإسلامي في بناء هذه الرواية لشخصياتها.

محمد: وهو الابن الأكبر لهذه الأسرة، وقد غادر قريته مذ كان يافعاً بحثاً عن لقمة العيش التي وجد صعوبة بالغة في الحصول عليها أثناء تواجده بين أهله وفي قريته، إلى أن استقر به المقام في الجيش الأردني في (عَمّان)، إنه أنموذج للشباب العصاميين الذين لا يقبعون خلف أسوار بيوتهم، بل يهجرون الأهل والوطن بحثاً عن مصادر أخرى جالبة للرزق.

سلطان: الابن الأصغر لهذه الأسرة؛ وهو طفل كغيره من الأطفال، إلا أنه كان يعيش في غنج ودلال؛ فكثيراً ما حاول الأبوان عمل المستحيل من أجل إرضائه أو الخضوع لمطالبه وتحقيق رغباته، وكان هو الآمن المطمئن حقاً؛ لأنه كان يقضي معظم"يومه باللعب"(١).

عثمان: زوج البنت (مضاوي)؛ وهو رجل موسر وكريم، كما كان يتمتع برجاحة العقل وحسن المنطق، وقد غمر بيت (أبي محمد) بعطاياه السخية طمعاً في مصاهرته في إحدى بُنياته، إلى أن تم له ما أراد، وربما جاءت هذه الشخصية كي تصور لنا حالة بعض الموسرين آنذاك؛ حيث إنهم أهل كرم ونجدة ونخوة، كما أنهم كانوا كثيراً ما يجمعون بين أكثر من زوجة.

---

(١)أيامنا الصعبة، ص٧.

يُضاف إلى تلك الشخصيات بنات هذه الأسرة الصغيرة: (نورة، منيرة، مضاوي، فاطمة) اللاتي يتمتعن بالحب الشديد من قِبل والديهما، وقد كنّ يشاركن أسرتهن في بعض الأعمال الشاقة بحثاً عن لقمة العيش؛ حيث يذهبن مع "بنات القرية الأخريات لجلب الحشيش والحطب؛ لاستعمال بعضه، وبيع البعض الآخر"(١).

الزمان

تعود أحداث هذه الرواية إلى منتصف القرن الماضي أيام حكم الملك عبدالعزيز –يرحمه الله–، ويظهر ذلك جلياً في سؤال أهل هذه القرية للابن (محمد) حينما كان يقصّ عليهم قصته في الأردن مع الضابط (أبي حنيك)، فقد سألوه: أهي –أي الأردن– في حكم عبدالعزيز بن سعود؟ كما يظهر ذلك أيضاً في حديث (أبي محمد) عن رحلة الحج: "من يوم حكم الملك عبدالعزيز –عسى الله يطول عمره– ما عادت حملة الحج تحتاج جنوداً، اليوم نمشي ما نخاف إلا الله"(٢)، وربما أرادت هذه الرواية–من خلال تحديد هذه الفترة– أن تصف لنا الأوضاع التي مرت بها بلادنا قبيل اكتشاف النفط ونشوء هذه الطفرة التي نتفيأ ظلالها الآن.

إنها وهي تصور لنا –تلك الحقبة الغابرة من الزمن– خلصتْ إلى تذكيرنا بالأيام الشاقة التي عاشها آباؤنا وأجدادنا من قَبل بما حوت من عوز وضيق ذات اليد وفقر مدقع، ظهرت آثاره على البيوت وتصميمها، وملابس أهل القرية، ومسجدها أيضاً، وكأنها تسعى إلى تنبيهنا إلى ما نحن فيه الآن

(١) السابق، ص٧.
(٢)أيامنا الصعبة، ص١٤٤.

من استقرار في الأمن، وبلهنية من العيش، ورغد في الرزق، وما كان عليه الآباء والأجداد من خوف وجدب وقحط! وربما أرادت أيضاً –من خلال اختيارها ذاك الزمن الغابر– أن نعود إلى هذا الصفاء الذي كانت تحمله تلك النفوس النقية لآبائنا وأجدادنا، وأن نتمثل به، وكأن لسان حالها يقول: إن ذلك ممكن ومتاح، فما دام آباؤنا وأجدادنا قد عاشوا على تلك الحالة من الصفاء والنقاء فعلى الأبناء أن يعيشوا بمثل تلك القيم والمبادئ الإسلامية التي عاش بها أولئك الأفذاذ، وهنا يظهر أثر الاتجاه الإسلامي في اختيار عنصر الزمن لهذه الرواية؛ وذلك حين حرص كاتبها على اختيار زمن سادت فيه المثل الرفيعة والقيم السامية لدى سائر أفراد المجتمع في تلك الحقبة الغابرة.

المكان

قرية قريبة من مدينة (بريدة) إحدى أهم حواضر نجد التي من أهم ملامحها شظف العيش وقلة ذات اليد؛ فحينما دلف (محمد) بسيارته التي أخافت أهل هذه القرية – نظراً لعدم رؤيتهم لها من قَبْل– أعلن بأنه أتى بها من الحجاز؛ كي يسلّمها إلى أحد تجار (بريدة)[١].

وحينما انتقل (أبو محمد) من قريته إلى جازان –من أجل تعليم الناس هناك– "تذوّق طعاماً أطيب وألذ من طعامه الذي تعوّد عليه في نجد، أعجبه المحشوش والمرسة والفتة، وغمس يده في العسل صباح مساء، كان يسمع به في الماضي، ولم يشبع منه إلا الآن"[٢].

(١)أيامنا الصعبة، ص٩٦.

(٢) السابق، ص١٨٢.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الروايةلم تخلُ من تصوير دقيق لمدن نجد وقراها؛ فالناس في فاقة وحاجة ولا مصادر رزق لديهم باستثناء رعي المواشي وزراعة النخيل؛ حيث إن النفط لم يُكتشف بعد، وهم بعيدون -كل البعد- عن شواطئ البحر وكنوزه، وكأن هذه الرواية أرادت -في اختيارها بلدة في القصيم رسماً لأحداثها- أن تبرهن على أن هذه المنطقة قد اشتهرت قديماً وحديثاً بتمسك أهلها بقيم الإسلام وتعاليمه، وهو ما يشير إلى أثر الاتجاه الإسلامي في اختيار عنصر المكان أيضاً؛ حيث اختارت هذه الرواية مكاناً عُرف في الديار السعودية قاطبة بشدة تمسك أهله بالدين؛ ربما ليسهم هذا المكان في عكس الصورة الإسلامية التي أراد الكاتب أن يصور بها المجتمع السعودي آنذاك.

اللغة

أ- لغة السرد:

جاء أسلوب السرد في روايتنا هذه متناغماً مع حالة أهل هذه القرية؛ ففي أول الأمر رفض (أبو محمد) أن يسافر بحثاً عن لقمة العيش؛ لأنه "سيظل صامداً صمود هذه النخيل التي تقاوم الفناء"[١]، وبالتالي فإن العلاقة بين (أبي محمد) وتلك النخلة علاقة صمود من أجل البقاء؛ فكلاهما يتميزان بالصبر وتحمل المشاق، وقد زُرعت في بيت (أبي محمد) شجرة أثل "مثل أهل هذا المنزل تماماً"[٢]؛ تتميز بصبرها وجلدها وقوة تحملها لحرارة الصيف وزمهرير الشتاء، إنها تماماً مثل هذه الأسرة التي تتحمل أيضاً سائر

(١)أيامنا الصعبة، ص١٨.
(٢)السابق، ص١٩.

أعباء الحياة، وقد ظل الـــذئب -الذي هجم على الغنم في الحظيرة فاكتشفه أهل تلك القرية- في مكانه "كتمثالٍ من الشمع"(١)، إنها -من غيـر شـك- صورة حية لسذاجة هؤلاء الناس حين استطاع حيـوان أن يمـرّر علـيهم خدعته؛ فحينما سحبوه وأخرجوه من الحظيرة، ثم رموه "بالحجـارة التـي خلطوا معها كمية لا بأس بها من الشتائم"(٢)؛ انتصب واقفـاً وتلفّـت يمنـه ويسرة ثم هرع باتجاه الصحراء!

كما أن لسذاجة أهل هذه القرية صـورة أخـرى؛ فعنـدما شـاهدوا السيّارة تسير داخل قريتهم؛ أيقنوا للوهلة الأولى أن الجني هو الذي يجعلها تمشي، ما دام أنه لا يجرها لا حمار ولا حصان ولا جمل!(٣).

ويحسن التنبيه على أن هذه الروايةلم تخل من اقتراضـات عديـدة جعلتنا نُوقن بأن الكاتب كان على صلة وثيقة بتـراثه الديني؛ فـالأب كـان كثيراً ما يردّد قول الحق ﷻ: "مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ"(٤)، وحينمـا كان (أبو محمد) يحث أهل بيته على مساعدة المعوزين وتحمل حرارة الجوع ومرارة العطش نراه كثيراً ما يستشهد بالآية الكريمة: "أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ"(٥).

---

(١)السابق، ص٤١.

(٢)السابق، ص٤٢.

(٣)أيامنا الصعبة، ص٨٨.

(٤)السابق، ص١٥. والآية: ٩٦ من سورة النحل.

(٥) السابق، ص١٥. والآية: ١٤ من سورة البلد.

ب- لغة الحوار:

مما يُذكر لكاتب هذه الرواية ويُشكر عليه التزامه اللغة العربية الفصحى في سائر حواراتها، وقد كان متأنقاً في اختيار عباراته رغم عامية معظم شخصياتها، بل إن هذه العبارات الجاهزة -التي أكثر المؤلف من تكرارها- جاءت سليمة من الركاكة الأسلوبية، خالية من الأخطاء اللغوية؛ ومثال ذلك قوله: (اللهُ يَجزيك خيراً)، و(يأتي اللهُ بالخير)، كما أن لكثرة الحكم والأمثال الشعبية في هذه الرواية دوراً كبيراً في ترسيخ فكرة رئيسة؛ وهي غزارة ثقافة أهل هذه القرية وسعة اطلاعهم رغم ما يحيط بهم من فقرٍ مدقع وحاجة ماسة؛ يقول أحدهم: "إذا جاء الجراد فارم الدواء"[١]، وتقول الأم لفلذة كبدها (محمد): "ولد بطني يعرف رطني"[٢].

ونستطيع أن نلمح في لغة الحوار والسرد في هذه الرواية ميلاً واضحاً إلى الواقعية، وذلك من خلال استخدام كثير من العبارت الملتصقة بالزمان والمكان في تلك الفترة، وبدا ذلك -على سبيل المثال- في استخدام فرث الشاة لامتصاص سم الأفعى من قدم محمد بعد التعرض لعضة من إحدى الأفاعي السامة، وكذلك ربط البنات لبطونهن تفادياً لألم الجوع[٣]، وغير ذلك من الصور التي ساهمت في ربط الأحداث بالواقع.

---

(١)أيامنا الصعبة، ص ١١٢.

(٢)السابق، ص ١٠٢.

(٣)مقال: الواقعية المحلية والعالمية في رواية أيامنا الصعب لعبد الله العريني، د. سعد أبو الرضا، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٧١، ص ٣٨.

الاتجاه الرومانسي

رواية (الحبّ يلتهم الفيروس)[١] للدكتور عبدالوهاب آل مرعي أنموذجاً

تحكي هذه الرواية قصة (حمدان)؛ الشاب الذي قدم من (أبها) إلى (الرياض) في مهمة علاجية لوالده، وشاءت الأقدار أن يتعرف هذا الرجل – داخل أحد تلك المشافي–على فتاة تدعى (ريم)؛ وبعد تبادل نظرات الإعجاب وقصة حب لم تدم طويلاً ظفر بالزواج منها، لكنه أصيب بخيبة أمل وشعور يائس بعدما عقد قرانه عليها؛ وما ذاك إلا لأنها كانت تحمل فيروس (الإيدز)! لكن إرادة الله فوق كل إرادة؛ حيث كشفت التحاليل –فيما بعد– حقيقة مرضها وسلامتها منه!

ومن الواضح أن هذه الرواية ذات اتجاه رومانسي؛ فشجرة الحب تُظلّ (ريم) و(حمدان) منذ أول وهلة من لقائهما؛ حيث "كانت أحبَّ إنسانة لديه"[٢]، ورغم حبه الشديد لـ(ريم) إلا أنه لم ينس حبه لزوجته الأولى؛ حيث كان يُردّد اسمها تكراراً ومراراً، كما كان كثيراً مايتغنى بحبه لها، وهذا ما يجعلنا نقرّ بأننا أمام شخصية متزنة منضبطة؛ حيث إن حبه الجديد لـ(ريم) لم ينسه حبه القديم لزوجته وأم أولاده، وكأن هذه الرواية أرادت أن ترسم لنا صورة الرجل السعودي المتوازن الذي وإن أباح له دينه الزواج من أخرى، إلا أنه حثّه على عدم نسيان الفضل،كما رغّبه في حفظ الود، بل أمره بالاعتراف بالجميل.

---

(١)الحب يلتهم الفيروس، عبدالوهاب آل مرعي، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.

(٢)السابق، ص٧٩.

أما حب (ريم) لـ(حمدان) فإنه لا يعدله أي شيء؛ فحينما صدح بالأذان كادت أن تكلّم المئذنة، بل أن تعانقها، أرادت ذلك "لأن صوت زوجها (حمدان) ينطق على لسانها المرتفع"(١)، كما أن شجرة الحب –عقيب زواجهما– نبتت واستطالت وأظلت الدنيا بأسرها(٢)، بل إن فيروسات الإيدز التي ربما كانت تعبث داخل جسدها ومع جريان دمها "أحسّت أيضاً أنها أحبّت بقاءه"(٣).

الشخصيات

أ- الشخصية الرئيسة:

ريم: بطلة هذه الرواية، وهي الشخصية الأكثر –بحكم أنوثتها– رقة ورومانسية وحناناً، إنها مثال للمرأة المحافظة على قيمها وتقاليدها وحشمتها رغم ماتحمله بين جنباتها من رومانسية مفرطة وعاطفة جياشة لا نظير لها، مما جعل منها امرأة جريئة أو متهورة –إن صح التعبير– حينما تُبدي إعجابها بـ(حمدان)، وتزداد جرأة عندما ترسل سائقها ليحضره إلى قصرها رغم اعتراضه على ذلك، واندهاشه من هذا التصرف الغريب، وإن كانت تنساق وراء حلم أو رؤيا تتشبّث بها، وتعتبرها طوقا لنجاتها في هذه الحياة، لقد سمعتْ "صوتاً محبوباً جداً لها، إنه صوت أذان الفجر"(٤)، كما أن

(١)الحب يلتهم الفيروس، ص٧٢.
(٢)السابق ، ص١٣٢.
(٣)السابق ، ص٦٦.
(٤)السابق ، ص٧٢.

"زيَّها محتشم غاية الحشمة"(١)، وكانت كثيراً ما تظنّ أنها "حتماً ستموت قريباً"(٢)، ومع ذلك فإنها ستكون أسعد الناس"لو ماتت وهي ساجدة"(٣).

ويبدو أن الكاتب لم يختر اسم (ريم) عبثاً؛ فقد تكون له دلالات على الجمال والبياض الخالص(٤) أكثر من أي اسم آخر، وعلى الرغم مما يحيط بـ(ريم) من أنوثة فذة وجمال أخَّاذ تحاول إخفاء الكثير منه بحشمتها وحجابها الذي تحرص عليه؛ إلا أنها كانت عالمة بأوامر الدين، متفقّهة بأحكام النسك؛ تقول (لحمدان) وهما في الطائرة: "ما رأيك بأن تُحرم من (جَدة) ويكون عليك دم، مع أن بعض الفقهاء يقول: إن مطار جدة ميقات لمسافري الطائرات"(٥).

ب- الشخصيات الثانوية:

حمدان: وهي شخصية هادئة متزنة، من أهم ما يميزها أنها تُحكّم عقلها في سائر تصرفاتها وشؤونها، ولعل لاسمه أكثر من دلالة؛ فقد كان كثير الحمد لربه، شاكراً ومقراً له بما أسبغه عليه من نعم؛ فحينما طلبت منه (ريم) أن يسكنا معاً في أفخم فنادق مكة؛ قال لها: "أنا لم آتِ هنا لأسرف، هناك فندق قريب أرخص بكثير، ولا يقل جودة عن السكن هنا، المال الزائد الذي سندفعه هنا نتصدق به.. انظري.. هؤلاء الفقراء هم أولى بفضول

(١)السابق ، ص٩.
(٢)الحب يلتهم الفيروس، ٨٧.
(٣)السابق، ص٧٨.
(٤)انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، الجزء الأول، مادة (ريم)، ص٤٠٠.
(٥)الحب يلتهم الفيروس، ص٨١.

أموالنا من أصحاب هذه المباني، ثم نحن أتينا هنا للعبادة لا لشيء آخر، ومن العبادة عدم الإسراف، ومن العبادة الصدقة"(١).

ومما يميز (حمدان) أيضاً أنه كان قريباً من ربه، بعيداً كل البعد عن اللقاءات المشبوهة أو المخالطات المحرمة؛ ففي ذات مرة طلبت منه (ريم) في أول مهاتفة لهما أن تقابله لإعجابها الشديد بشخصيته الفذة وسلوكه القويم؛ لكنه رد عليها متعوذاً بالله: "أنا رجل متديّن، وأصلّي في المسجد"(٢)، كما كان كثيراً ما يلجأ إلى الله في أن "يعصمه من الفتن وعامة الفتنة في النساء"(٣).

أم ريم: وقد ظهرت كامرأة عجوز، أنهكها المرض، فأصبحت قليلة الحركة، وهي أرملة لأحد الأثرياء، لم تنجب إلا بنتاً واحدة كانت تحرص على إسعادها؛ فقامت بتربيتها -بعد وفاة أبيها- على الفضائل والحشمة والتدين، وكانت كثيراً ما تحثّها على مراقبة الله في أقوالها وأفعالها، ولا أدل على ذلك من أنها طلبت منها عدم إعادة النظر إلى (حمدان)، الرجل الأجنبي عنها، وهو الذي يشبه الشخص الذي رأته في الرؤيا مراراً وتكراراً حينما شاهدته بالمشفى، وأخبرتها أن في ذلك إثماً؛ وذلك لقوله ﷻ: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ)(٤).

---

(١)السابق، ص٨٨.
(٢)الحب يلتهم الفيروس، ص١٦.
(٣)السابق، ص٢٧.
(٤)سورة النور، آية:٣١.

الزمان

بات من شبه المؤكد أن زمن أحداث هذه الرواية هو عصرنا الحاضر الذي نعيش فيه الآن؛ لأن (ريم) تسكن في قصر مشيد ذي بهو كبير في الرياض، وقد كان (حمدان) على اتصال وثيق بمستشفى الملك خالد للعيون، كما أن لجريدة (المسلمون) ومجلتي (الأسرة) و(الشقائق) حضور قوي في فصول هذه الرواية، غير أن أحداثها غالباً ما تقع في الليل، وبالذات في الهزيع الأخير منه؛ حيث إن لقاء (حمدان) بـ(ريم) ومن ثَـمَّ عقد قرانه بها،ثم معرفته بمرضها العضال، وما تلا ذلك من أحداث متلاحقة كان كله في الليلة الأولى من لقائهما، وتحديداً في آخر ساعاته، وربما جاء اختيار الكاتب لهذا الوقت بالذات؛ لأنه وقت استثارة الأشواق، ونشوة العواطف، واهتياج الحنين بين المحبين.

أما الاسترجاع الاستذكاري فإننا نجده قد تكرر في عدة مواقع مختلفة في الرواية، وخاصة لدى (حمدان)؛ فعندما أقبل على المتجمهرين حول حادث سير وقد سألهم مَن تكون المصابة؟ فأجابوه بأنها كانت تردّد اسم (حمدان) الذي أدرك لاحقاً أنها (ريم)؛ مهجة فؤاده، وحينها وقع في صمت رهيب، ثم أخذ يتذكّر بعده: "بسمتها الصافية، تذكر قصتها المأساوية كاملة، وتذكّر القصر الجميل، كل شيء أصبح أشبه بالدخان الكثيف"(١).

(١)الحب يلتهم الفيروس، ص١٠٥.

المكان

معظم أحداث هذه الرواية وقعت في قصر (ريم) المشيد القابع وسط العاصمة الرياض؛ لقد كان (حمدان) لا يفكر "إلا في الأبهة والعظمة التي يعيشها أهل هذا القصر"(١)؛ وقد كان "مبهوراً لقِطع الزلّ الراقية، ورسوماتها الجميلة، وفخامتها البديعية، كما كان كثير التأمل للبوابة المفضية لغرف المنزل الأخرى التي تجلس بجوارها كراسيّ ذهبية غاية في الأناقة"(٢)، على أن هناك أماكن أخرى كانت طرفاً في تسلسل أحداث هذه الرواية؛ ففي مشفى الملك خالد للعيون التقت عينا (حمدان) بعيني (ريم) لأول مرة، كما أنهما سافرا إلى (جدة) ومن ثَّم إلى (مكة) من أجل تأدية مناسك العمرة.

ومن غير شك فإن هذه الأماكن مما يُنمّي عاطفة الحب التهاباً واشتعالاً بين العاشِقَين، وهذا مما يجعلنا نقول: إن الاتجاه الرومانسي قد أثّر في اختيار هذه الأماكن التي تزيد من نبض العاطفة والشوق بين المدنفين.

اللغة

أ-لغة السرد:

هذه الرواية قائمة في معظم فصولها على الحوار، لكنها لم تخل من أسلوب السرد في بعض عبارات وردت داخل تلك الفصول؛ فالمونولوج الداخلي يتمثل في الرؤيا التي رأتها (ريم) في منامها وقد أتاها والدها المتوفى منذ زمن بعيد في ثياب بيضاء، ورغم شعورها بالعطش والجوع في وسط الصحراء القاحلة، فقد أشار إليها أبوها بأنها لن تستطيع الاقتراب

(١) السابق، ص٢٣.
(٢)السابق، ص٢٤.

منه، وقد أمسك بيد (حمدان) قائلاً لها: ها قد "جاءك زوجك (حمدان)، خُذي بيده للفردوس الموعود، إياك أن تفرّطي فيه"(١)، كما كانت (ريم) تزعم بأنها "حتماً ستموت قريباً، وكم ستكون سعيدة لو ماتت وهي ساجدة"(٢).

ولم تخلُ هذه الرواية من بعض العبارات الجميلة ذات الدلالات المعبّرة؛ فحينما خرج (حمدان) من القصر هارباً أصبحت خطوات (ريم) أثقل من مجنزرات البلدوزر(٣)، وطلّت (حمدان) البهية -في نظر (ريم)-كفلق الصبح(٤)، ومن العبارات الجميلة التي وردت أيضاً صورة الحاجَة إلى تَدَخُّل أُمِّ ريم بأنها ستكون أسرع تدخلاً من هيئة الأمم في حروب البلقان، وكذلك عندما علمت (ريم) بأن (حمدان) هو الآخر مصاب بالإيدز؛ "وقع الخبر عليها كالصاعقة، وأحسّت في قلبها بما يشبه انفجار قنبلة هيروشيما"(٥).

وقد جاءت هذه اللغة -التي اعتمدت على الكلمات الرشيقة والمونولوج الداخلي- متأثرة باتجاه هذه الرواية الرومانسي؛ ذلك أن للحب عواطف داخلية؛ وبالتالي ناسبها المونولوج الداخلي، وبما أن الحب مما يصفّي النفس ويهذبها من شوائب الحياة؛ فقد كان لزاماً أن تصفو لغة هذه الرواية؛كي تعكس لنا هذا الصفاء النفسي لهذين العاشقين، فكانت العبارات عذبة كعذوبة المشاعر المسيطرة عليهما، وكانت الصور دافئة كدفء العواطف المنبعثة من قلبيهما.

---

(١)الحب يلتهم الفيروس، ص٦٨.

(٢)السابق، ص٨٧.

(٣)انظر: السابق، ص٧٤.

(٤)انظر: السابق، ص١٠٨.

(٥)الحب يلتهم الفيروس، ص٥٦.

ب-لغة الحوار:

هذه الرواية قائمة -في معظم أحداثها- على الحوار الذي دار معظمه بين (ريم) و(حمدان)؛ وهو حوار قائم على انتقاء العبارات بعناية فائقة؛ حيث كان يميل -في أول لقاء دار بينهما في بيت (ريم)- إلى الجدية، ويحيط به الخوف؛ خوف (ريم) من عدم استطاعتها إقناع (حمدان) بالزواج منها، وخوف (حمدان) من العالم الجديد الذي يعيش ساعاته الرهيبة الآن؛ حيث القصر المشيد، والخدم والحشم، والإحساس الغريب بفقد الحرية، والحوادث المتلاحقة والمفاجآت غير المتوقَّعة، والفتاة ذات الجمال والمال والحسب الرفيع، وهذا ممالم يألفه من قبل، بل ربما أنه لم يخطر على باله البتة!

لكن هذا الحوار تدثّر -بعد سويعات قليلة- بالرومانسية؛ إلى أن أصبح أكثر رقة وعذوبة وسلاسة بعد أول لقاء مباح بينهما! ومن وجهة نظري فإن سبب تغلّب هذا العنصر في هذه الرواية هو أنه الطريق الوحيد الذي يفضي به العاشق إلى معشوقته؛ حيث يبثها ويطارحها الغرام، وتبادله هي المشاعر والأحاسيس، وبالتالي ظهر أثر هذا الاتجاه الرومانسي على لغة هذه الرواية.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. القرآن الكريم.

٢. أساليب السرد في الرواية المعاصرة، د.عبدالرحيم كردي، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣. أيام العرب، محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ط، د.ت.

٤. أيامنا الصعبة، د.عبدالله العريني، مطابع النرجس، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٥. بداية النص الروائي، د.أحمد العدواني، نشر: النادي الأدبي في الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٦. بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٧. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٨. تحليل الخطاب الروائي، د.سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٩. جاهليه القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٣م.

١٠. جاهلية، ليلى الجهني، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

١١. الحب يلتهم الفيروس، عبدالوهاب آل مرعي، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢. دراسات في نقد الرواية، د. طه وادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٣. رمزية المرأة في الرواية العربية، جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

١٤. صورة الرجل في الرواية النسوية السعودية، د.منصور المهوس، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٥. صورة المرأة في القصة السعودية، د.محمد العوين، إصدار: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٦. علم السرد، المحتوى والخطاب والدلالة، د.الصادق بن الناعس قسومة، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٧. فن القصة في الأدب السعودي الحديث، د.منصور الحازمي، دار العلوم، الرياض، ١٤٠١هـ.

١٨. في نظرية الرواية، بحث في تقنايات السرد، د.عبدالملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.

١٩. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

٢٠. قضايا المكان الروائي، صلاح صالح، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢١. القيم الخلقية في الرواية السعودية دراسة تحليلية، د.عبد الملك آل الشيخ، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٢. الكتابة ضد الكتابة، د.عبد الله الغذامي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٢٣. معجم مصطلحات نقد الرواية، د.لطيف زيتوني، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٢٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

ثانياً: البحوث والمجلات:

٢٥. بحث: سؤال القيم في رواية جاهلية للكاتبة ليلى الجهني، د. إبراهيم بن محمد الشتوي، مجلة العلوم الإنسانية، البحرين، العدد ٢٥، صيف ٢٠١٥م.

٢٦. مقال: الاقتباسات المطلعية في رواية جاهلية، د. سعد البازعي، الملحق الثقافي، جريدة الجزيرة السعودية، عدد: ١٩٧، تاريخ: ١٣، ربيع الثاني، ١٤٢٨هـ، وعدد: ١٩٨، ٢٧ ربيع الثاني، ١٤٢٨هـ.

٢٧. مقال: الواقعية المحلية والعالمية في رواية أيامنا الصعبة لعبد الله العريني، د.سعد أبو الرضا، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المملكة العربية السعودية، العدد ٧١.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٢٧٦٩
٢.	تمهيد	٢٧٧١
٣.	الاتجاه الاجتماعي رواية (جاهلية) للكاتبة ليلى الجهني أنموذجاً	٢٧٧٢
٤.	الاتجاه الإسلامي رواية (أيامنا الصعبة) للدكتور عبدالله العريني أنموذجاً	٢٧٩٢
٥.	الاتجاه الرومانسي رواية (الحبّ يلتهم الفيروس) للدكتور عبدالوهاب آل مرعي أنموذجاً	٢٨٠٢
٦.	المصادر والمراجع	٢٨١٠
٧.	فهرس الموضوعات	٢٨١٣